

الجانب المقابل تقع قاعة الاستقبال الصيفية للأمير، والتي تم تنسيقها وتأثيرها على نحو رفيع لا يقل روعة عن المهجع. وزينت إحدى جدران هذه القاعة برسومات تصور الشاه الإيراني "فتالي" وهو جالس على العرش، والأمير عباس ميرزا، وعلى الجهة الأخرى رسم يصور - آخر أمراء إيريفان الأمير حسين مع شقيقه حسن، بالإضافة إلى اثنين من المقاتلين الأكراد (7).

وقد شُيّدت مدينة إيريفان نفسها على الجانب الشمالي من القلعة، على بعد مسافة قصيرة من جدران الحصن. وخدمت هذه المسافة القصيرة أغراض الدفاع أيضا.

واليوم، لم يبق حتى الحطام من تلك القلعة المهيبة في السابق، والتي كانت حصنا منيعا لإيريفان. وحل بهذا الأثر نفس المصير الذي أصاب المعالم المعمارية الأخرى، التي تشهد على أن إيريفان تعود في الأصل إلى الأراضي الأذربيجانية، مثلها في ذلك مثل كل أراضي أرمينيا الحالية. ❖



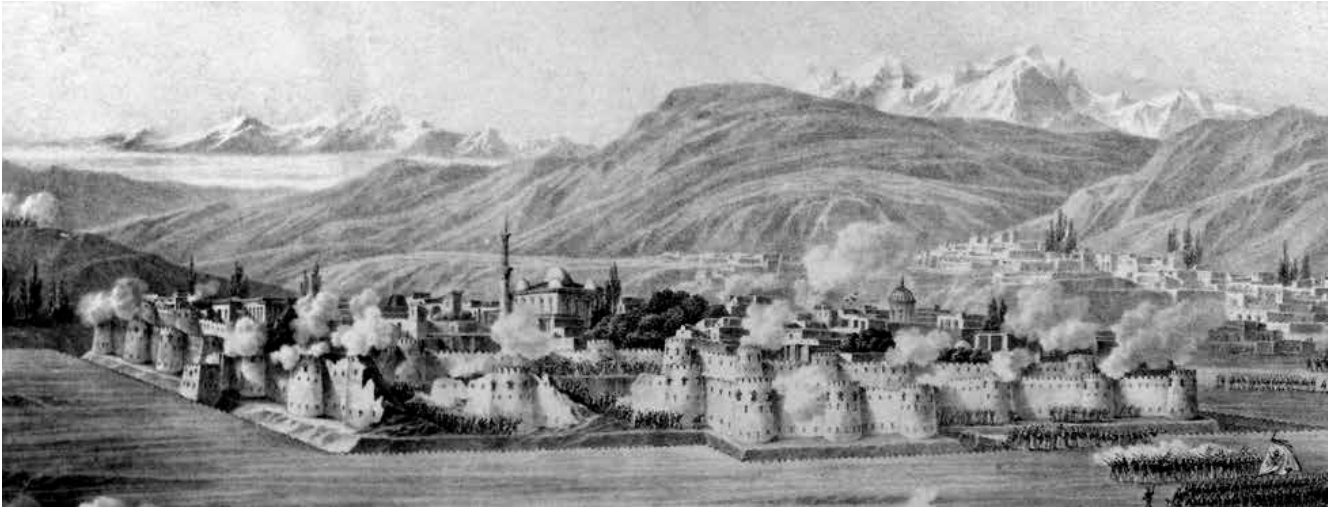
إيريفان. نقش جداري. 1796

### الهوامش:

- 1 - أمير بيكوف ن. قضايا التاريخ العسكري لأذربيجان خلال عصر الإمارات. باكو، 2004، ص. 84-85
- 2 - جريجوريان ز. ت. انضمام أرمينيا الشرقية إلى روسيا في بداية القرن التاسع عشر. موسكو، 1959، ص 18
- 3 - مقتطفات من تاريخ العلاقات الروسية الأرمينية، المجلد الأول. إيريفان، 1956، ص 355
- 4 - نفس المصدر السابق
- 5 - يعقوبيان ت. خ. مقالات حول تاريخ إيريفان. إيريفان، 1977، ص 86
- 6 - من التاريخ ...، ص 314
- 7 - نفس المصدر السابق

وبلا أدنى شك، فقد تمثلت اللؤلؤة المعمارية المتوجة لقلعة إيريفان في قصر الإمارة - "سردار سراي"، الذي تم وضع الأساس له في نفس توقيت تأسيس القلعة نفسها، ولكن في الفترة اللاحقة أُعيد بناؤه وتغييره بصورة كبيرة، حتى صار واحدا من أروع المباني المعمارية في عصره. وفي هذا الصدد، ينبغي الإشارة إلى أعمال المعماري ميرزا جعفر في نهاية القرن الثامن عشر، في عهد الأمير حسين على وابنه محمد. ونتيجة لإعادة بناء القصر وتغييره، فقد تحول إلى مجموعة معمارية مكتملة، وإلى أحد النماذج الرائعة لفن المعمار الأذربيجاني.

وهنا أيضا قدم إ. لاتشينوفا وصفا جليا لقصر سردار سراي، بما في ذلك مهجع الأمير، الذي تم تأنيته؛ كما يشير الضابط الروسي، بأعلى درجات الذوق الرفيع والمهارة العالية، واكتست جدران المهجع بالصور والرسومات. وفي



بجذوع الأشجار التي تنتهي بأطراف حادة مغروسة في باطن الأرض (4)

في القرن السابع عشر، أشار الرحالة الفرنسي ج. شاردين في وصفه لقلعة إيريفان، إلى أن جدران القلعة تمتد بطول أربعة آلاف خطوة، وأن بها ثمانمائة منزلاً. وطبقاً لشهادة الرحالة، فإن سكان القلعة كانوا من الأذربيجانيين فقط، وكان الأرمن يأتون إليها لشؤون التجارة، حيث أن القلعة ضمت بعض المتاجر الأرمينية، حيث يشارك الأرمن في أعمال التجارة بالمدينة أثناء النهار، ويغادرونها في المساء (5).

اتسمت الأبنية في القلعة بالطابع المميز للتخطيط الحضري الشرقي: شوارع ضيقة ترتفع عليها جدران المنازل العالية المصمتة، التي تحجب منظر المنزل والفناء. وطبقاً لشهادة الديسمبري\*3، إ. لاتشينوف، الذي شارك في الحملة الأخيرة للجيش الروسي على إمارة إيريفان، يقول إن القلعة ضمت مسجدين (6)، على الرغم من إشارة بعض المصادر الأخرى إلى وجود أربعة مساجد، أقدمها تم بناؤه أثناء تشييد القلعة نفسها - في عام 1510 بأمر من الشاه إسماعيل الصفوي. وبالقرب من قصر الإمارة شُيّد مسجد الجمعة (الجامع)، الذي تأسس في عهد الشاه عباس الأول. وملحق بالمسجد مكتبة ومدرسة وغرف للضيافة.

جميع الإمارات الأذربيجانية، وكثيراً ما أشار الجنرالات الروس في تقاريرهم إلى تحصيناتها المتميزة. وبفضل هذه القلعة، كانت إمارة إيريفان هي آخر الإمارات لأذربيجان التي احتلتها روسيا. فلم ينجح الهجوم الأول الذي قامت به القوات الروسية تحت قيادة ب. د. سسيانوف في عام 1804.

وأعقب ذلك هجوم جديد سنته القوات الروسية عام 1808، لكنه في هذه المرة تحت قيادة المارشال إ. جودوفيتش، ولحقت الهزيمة بالجيش الروسي، وصار على جودوفيتش توديع منصب قائد القوات الروسية في القوقاز. و فقط في شهر أكتوبر لعام 1827، تمكن الجيش الروسي باستخدام القذائف بعيدة المدى، من الاستيلاء على هذا الحصن المنيع، وبهذه المناسبة، وفي يوم الثامن من نوفمبر أقيمت الصلاة في كنيسة القصر الشتوي بمشاركة الإمبراطور نفسه.

من المثير للاهتمام أن قلعة إيريفان أُحيطت ببركتين تم حفرهما حولها، وكانت البركتان متدرجتين مما شكل صعوبة خطيرة أمام الهجوم المكشوف عليها. كان ما يُسمى بالبركة العلوية تقع بالقرب من البوابات الشمالية للقلعة، حيث يتم إمداد المياه من خلال المجرى الطيني الممتد من نهر "قيرخ بولاق". وتتدفق المياه الزائدة أسفل المجرى الطيني نفسه إلى البركة السفلية. وترتكز البركة العلوية إلى قنطرة مدعمة

الديسمبريون - حركة معارضة روسية نشأت في أوائل القرن 19 ضد الاستبداد والقنانة، ونظمت انتفاضة في شهر ديسمبر \* 3 لعام 1825، وجاءت تسميتهم بالديسمبريين ارتباطاً بإسم شهر الانتفاضة - المترجم



### الرسم التخطيطي لقلعة إيريفان في أوائل القرن التاسع عشر

تعيق مرور العربات. وتقوم دوريات من الحراس بحماية البوابات، وكان أولئك الحراس يقيمون في غرف خاصة بالجدار الخارجي (3). بالقرب من كلا البوابتين، تم ربط الجدران الخارجية والداخلية للقلعة بجدران وسيطة. وتجدر الإشارة إلى أن جدران قلعة إيريفان تميزت بالقوة والصلابة الشديدة حتى أنها صمدت أمام قذائف المدفعية. وضمت القلعة قناة سرية لإمدادها بالمياه، مما سمح للحامية بالصمود أمام الحصار الطويل. وخلال الاجتياح الثاني للقلعة، اكتشفت القوات الروسية هذه القناة وقامت بتدميرها. وبشكل عام، فقد اكتسبت قلعة إيريفان صيتاً باعتبارها أكثر القلاع المنيعة في

”الأجيز“، على مسافة 24 فرسخ<sup>1</sup> من دير ”اتشميدزين“. وقد أتاح هذا الموقع مجالاً واسعاً للرؤية، وهو الأمر الهام في حال الحصار. تمتعت القلعة في تصميمها بالشكل المربع، يحيطها صفان من الجدران العالية بأبراج شاهقة عند الزوايا. كما كانت الجدران تضم بوابات عريضة. كان للقلعة حامية تقارب الألفين من المقاتلين، وتحصنت جدرانها بأربعة عشر مدفعاً (1). وتُعد قلعة سردار عباد ضمن أكثر التحصينات التي لا تُخترق في ذلك الوقت. وقد أظهرت صلابتها المنيعة أمام القوات الروسية التي شنت هجومها على إمارة إيريفان. لم تكن قلعة إيريفان أقدم من قلعة سردار عباد فحسب، بل تجاوزتها من حيث الحجم والأبعاد. وتميزت القلعة بموقعها الاستراتيجي على الضفة اليمنى شديدة الانحدار لنهر ”زنجي شاي“ الذي يتسم بسرعة تيار المياه، حيث يرتكز الجدار الغربي إلى الشاطئ. كان تصميم قلعة إيريفان يتمتع بشكل شبه رباعي، باستثناء الشكل المقوس للجدار الغربي، الذي يمتد على طول الضفة العالية للنهر. وتم بناء الجدران من الأحجار والطوب اللين. كما بلغ ارتفاع الجدار الخارجي خمسة ”ساجين“<sup>2</sup>، وكان يضم سبعة عشر برجاً طبقاً لبعض المعطيات. أما الجدار الداخلي فيبعد عن الجدار الخارجي بمسافة تتراوح بين 50 إلى 60 متراً، ويتجاوزه في الارتفاع (2) كما ضم أيضاً عدة أبراج اتخذت شكل نصف الدائرة. وعلى هذا النحو، فلو أن المحاصرين للقلعة نجحوا في اختراق الجدار الخارجي، فسوف يجدون أنفسهم محصورين في مساحة ضيقة بين صفين من الجدران، مما يعيقهم عن فرصة المناورة ويُسهل مهمة الحامية. وضمت القلعة بوابتين: بوابة تبريز على الجانب الجنوبي، وبوابة شيروان من ناحية الشمال. كانت البوابتان مصنوعتان من الألواح الخشبية السمكة ومبطنتان بالشرائح الحديدية. وتم تصميم الفتحات بطريقة

1

الفرسخ - مقياس قديم للمسافات يعادل 1066.8 متراً - المترجم \*

2

ساجين - المقياس الروسي القديم منذ القرن 17 وحتى إلغائه عام 1924 واستبداله بالمقياس المتري، وهو يعادل 2.16 \* متراً - المترجم

# قلعة إيريفان

## على

أراضي إمارة إيريفان السابقة التابعة  
لأذربيجان في الماضي، كان هناك اثنان من  
القلعة الحصينة. أولهما - قلعة إيريفان،  
التي شُيّدت منذ أوائل القرن السادس عشر، والثانية - قلعة  
سردار عباد، وشُيّدت بأمر الأمير حسين وسُميت باسمه تكريماً  
للأمير، الذي حمل لقب سردار (أي قائد جيش الشاه الإيراني)،  
وكلاهما أقامهما الأذربيون.  
تقع قلعة سردار عباد في سهل فسيح يمتد عند سفح جبل

